آدم . . وعلوم الاستنساخ

الخلق والبعث بين المادة والطاقة والعدم

الكتاب: آدم.. وعلوم الاستنساخ

المؤلف: عبد الرحمن الرفاعى

الناشر: مكتبة مدبولى الصغير

٤٥ شارع البطل أحمد عبد العزيز - المهندسين

ت: ٣٤٧٧٤١٠ - ٣٤٤٢٢٥٠

رقم الإيداع: ٩٨/٧٨١٤

الترقيم الدولى: 057 - 286 - 977

تصميم الغلاف: عاطف منصور

الجمع والتنفيذ الفنى: عفت إبراهيم

مراجعة لغوية: سيد عبد المعطى

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

من الإعجاز العلمى
للقرآن الكريم والسنة المطهرة

آدم .. وعلوم الاستنساخ

الخلق والبعث بين المادة والطاقة والعدم

عبد الرحمن محمد الرفاعى

الجزء الأول

إهـــــداء

إلى مَن منْ نفسي استنسخت.. (وخلق من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها..)..
إلى من جُعلت لي السكن.. المودة.. الرحمة..
(وجعل بينكم مـودة ورحمة..).. إلى الفـؤاد شقيق القلب.. إلى أم.. أحـمد رواء..
وأمون ومحمد.. ونوره وعمر..
إليـك يا رفيقـة العمر وأنيسة الرحلة.. أهدى هذا الكتاب..

عبد الرحمن محمد الرفاعي

القاهرة في : ٣/٤/١٤١٨هـ - ٦/٨/١٩٩٧م

المقدمـــــة

اللهم لك الحمد يامن خلقت فأبدعت، لك الحمد يامن أوجدت وصورت، لك الحمد يامن تنزهت وتعاليت.. لك الشكر يامن ألهمت وهديت، ووفقت وأعطيت، فلك الشكر ولك المن.. فزدني يامن أمرت بالاستزادة من علمك وعطائك - علماً - زدني يامن قلت في محكم كتابك المعجز الخالد: ﴿وقل ربي زدني علماً﴾[1] فزدني علما.. علما نافعاً.. وقلبا خاشعاً.. ولسانا شاكراً.. وصلِّ وسلم على سيد الخلق وشافعهم في المقام.. يوم المعاد.. نبينا محمد ﷺ صاحب الإسراء والمعراج.. صاحب المعجزة الكبرى القرآن.. الكتاب الذي ﴿لا يغـــادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾[2].. المعجز في جدله، المعجز في علمه وعلومه.. كيف لا وصاحبه هو (العليم الخبير).. ويكفي أن في خلوده إعجازا.. إعجازا كثيرا.. وعطاء متنوعا.. معجز مع تغيير الأزمنة والأمكنة.. يعطي كل زمان ومكان ما يلائمه ويصل إليه ارتقاؤه وتطوره.. إنه كتاب أسفله مغدق، أعلاه مثمر.. كتاب قد حوى كل ما في الكون الخـــافي منه والمنظور: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾[3].. كتاب يسير مع الأمكنة وعصورها، يعطيهم ويمدهم ويرمز لهم وحينا يكشف.. وحينا يشير بكل ما يعجزهم ويبهرهم فيما هم فيه مبرزون وفائقون.. حتى جاء

---

(١) سورة طه: آية «١١٤».

(٢) سورة الكهف: آية «٤٩».

(٣) سورة النحل: آية «٨٩»

عصرنا.. عصر العلم والعلوم، عصر الكشوفات والإبداعات العلمية.. فطبيعى أن يكون موقف إعجازه معهم، هو موقفه مع كل عصر وبيئة قد مضت.. وقبل أن نمضى يستحسن أن نقف هنيهة مع استفسار خاطف استوجب المقام الإشارة إليه، هو هل صفة هذا الإعجاز الرئيسة هى العموم أو الخصوص أو بمعنى آخر: هل معجزة محمد ﷺ القرآنية هى خاصة بقومه العرب أم أنه عام لكل الخلق إلى أن تقوم الساعة؟.. وإجابة هذا الاستفسار تدعونا لأن نعود إلى الوراء سريعا لكى نلقى نظرة خاطفة على بعض من خاضوا حول ذلك عبر القرون، ولكن فى إيجاز لا يتجاوز السطر أو السطرين بمشيئة الله تعالى.. وذلك أن معظم من خاضوا حول صفة الإعجاز القرآنى نجدهم يقولون: بعمومية صفة هذا الإعجاز إلى أن تقوم الساعة، مستدلين على ذلك بكثير من الآيات القرآنية وأحاديث الرسول ﷺ كقوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾(١).. بل هناك ما يزيل أى تردد وهو قوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾(٢).

فى حين هناك فئة قليلة تقول بعكس ما سبق، أى أن صفة هذا الإعجاز هى صفة الخصوص، أى أنها خاصة بالعرب وحدهم، ويقولون فى ذلك إن القرآن الكريم تنزل بلغة العرب وحدهم، ولم يشر إلى لغات غيرهم، كما أشار القرآن الكريم إلى هذا فى كثير من آياته كما فى قوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾(٣) وكقوله تعالى: ﴿كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون﴾(٤) بل إن هناك ما يؤكد هذه الإشارة بما لا تردد بعده وهو قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم..﴾(٥).

فى جو هذا المعترك الخلافى، نتوجه بهذا الاستفسار لترجمان القرآن وحبر الأمة، وعالمها ابن عباس رضى الله عنهما وأرضاهما.. لتقول له: وأنت ماذا تقول؟ وما القول

---

(١) سورة الأنبياء: آية «١٠٧».

(٢) سورة سبأ: آية «٢٨».

(٣) سورة يوسف: آية «٢».

(٤) سورة فصلت: آية «٣».

(٥) سورة إبراهيم: آية «٤».

الفصل الذى يحسم هذا المعترك الجدلى؟ وعند الرجوع لجل ما روى عن حبر الأمة وعالمها، يمكن لنا أن نلخصه فى العبارة التالية:

يقول رضى الله تعالى عنهما ما معناه إنا أخذنا آية إبراهيم ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم..﴾ مع آيتى الفريق الأول ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ وآية ﴿وأرسلناك للناس كافة﴾.. سنجد أن الصفة الرئيسية لهذا الإعجاز القرآنى، هى العمومية.. وذلك أنه إذا كان محمد ﷺ مرسلا للناس كافة، بل رحمة لغيرهم - أى للناس - من الخلق كالجن والملائكة عند بعضهم «رحمة للعالمين».. تكون آية سورة إبراهيم ﴿بلسان قومه﴾ مؤكدة أن اللغة العربية التى هى لسان المرسل ﴿للناس كافة﴾ و﴿رحمة للعالمين﴾ هى لسان «للناس كافة» وأن قوم محمد ﷺ ليسوا هم العرب وحدهم، بل هم الناس كافة، وذلك لأنه مرسل لهم للأمم كافة.. إذن ما فى القرآن الكريم من إعجاز ليس خاصا بالعرب وحدهم، بل بالناس كافة، رومييهم وفارسييهم وأحباشهم، بل كل الأمم.. وهذه الإشارة الدقيقة من حبر الأمة - رضى الله عنه وأرضاه - تجعلنا نقول إن المفهوم الإعجازى للقرآن الكريم يعنى أنه: عام فى خاص، وخاص فى عام.. أى أن فى القرآن الكريم إعجازا خاصا بالمنزل عليهم مباشرة هم العرب وفيه إعجاز عام يختص بشتى أجناس أمم من غير العرب.. فى الوقت الذى نجد أن تلك الخصوصية التى تختص بمن يحملون صفة العربية فى الإعجاز، تحمل كل مفاهيم صفة العمومية الإعجازية، كذلك نجد الصفة العمومية تحمل كل مفاهيم صفة الخصوصية الإعجازية. أى أن مفهوم الإعجاز القرآنى: أنه خاص فى عام.. عام فى خاص - والله تعالى أعلم بالحقيقة والصواب والحمد لله رب العالمين - وهذه الإشارة ليست هى فلسفة منا.. وإنما هى حقيقة فرضتها مفاهيم وإشارات ما تجلى من حقائق هذا الإعجاز العظيم.. وإذا أردنا أن نوضح هذه الإشارة أكثر، فإنا نقول: إذا كان القرآن الكريم قد أفحم وأعجز من نزل عليهم مباشرة فى أعظم وأدق ما هم فيه مبرزون وفائقون، ومعلوم أن أمة العرب كانت ساعة نزول القرآن الكريم أفصح الأمم وأبلغهم على الإطلاق، وقد أسكتت بلاغة القرآن وفصاحته بل عظمة الإبداع النظمى التى تجلت فى سبكه وصياغته وتركيب جمله وعباراته - كما يقول الشيخ عبد القاهر الجرجانى فى كتابه

«دلالات الإعجاز» أسكتت زعماء البلاغة والبيان فى أمة العرب، بل جعلتهم يخرون ساجدين - كما ورد عنهم - وإذا كان من كان يتزعم بلاغة وبيان الأمم قد أفحموا فمن باب أولى أن يفحم غيرهم، وكيف ذلك؟

فمثلا إذا نحن أخذنا أقرب الأمم جوارا للعرب عند النزول وبعده، فيا ترى ما الأمر الذى كانوا هم فيه مبرزين ويفوقون العرب، وبدون تفكير وإطالة سنجد أن من ذلك أنهم كانوا مبرزين فى تقانينهم التشريعية، وفى تنظيماتهم الإدارية، بل فى كل الشئون التى تستدعيها وتتطلبها الدول والإمبراطوريات من تنظيمات فى السياسة وشئون الحكم، فبلاغة تلك الأمم وفصاحتها تتجلى فى صياغة وسبك تلك التقنينات وما تستلزمه من صياغات الدساتير والقوانين وغير ذلك مما يتطلبه الحكم والحكومات فى إدارة شئونها.. ولما تنزل القرآن الكريم بأحكامه وتقنيناته وتشاريعه فى قيام الدولة وتنظيم العلاقات بين الحاكم والمحكومين داخل تلك الدولة، أو بين تلك الدولة نفسها ومحكوميها مع ما يجاورها من حكومات ودول.

فهذه التنظيمات والتشريعات القرآنية أبهر وأدهش بل أفحم ما فيها من عظمة فى العدل والمساواة، ودقة إبداع فى جمال إيجازها مع الشمول لكل ما تقتضيه الحياة.. ما فيها من حلاوة فى الصياغة، وتناغم فى العبارة مع منطق مفحم فى الإشارة، منطق يرتكز على عقلنة تخر ساجدة أمامها جباه العباقرة. كل ذلك أفحم وأعجز غير العرب من الأمم.. إذن فخصوصية ما كان يملكه العرب، اشترك فيه معهم عمومية ما كان يملكه غيرهم من أجناس الأمم، وأيضا ما كانت تملكه تلك الأمم من العمومية، اشترك معهم فيه خصوصية ما كان يملكه العرب، وهكذا فى كل ما يشمل شئون الحياة ويرتبط بها.

وهذا وغيره هو ما دعانا لأن نقول ما سبق أن قلناه: من أن الإعجاز القرآنى هو خاص فى عام وعام فى خاص - والله تعالى أعلم بالحقيقة والصواب والحمد لله رب العالمين - وهذه الإشارة العقلية سيجد أخى القارىء لها تفصيلا أوضح وأشمل فى فصلين كاملين خصصنا بهما هذا الجانب. وقد حمل الفصل الأول منهما عنوان التسوية العمومية لكل الخلق الإنسانى، والثانى بعنوان: التسوية الخصوصية، وهى ما تتناول التسوية

الفردية أو تسوية **جمعية** لكل أمة يربطها مكان وزمان واحد وهكذا - والله تعالى أعلم بالحقيقة والصواب والحمد لله رب العالمين - ومن ذلك سنجد كيف يستطيع من لا ينطق العربية ولا عرفها حياته، فإذا أسلم وقرأ القرآن، فسنجده كأنه فرد من أفرادها، كما هو الشأن مع الماليزيين والأندونيسيين وغيرهم من الأمم. إذن فلغة العرب أمة العرب ليست خاصة بلسانهم وحدهم، بل هى تشمل كل الأمم الذين اندرجت تسويتهم العمومية والخصوصية وتحت مسمى أمة محمد، وهم كل الأمم من زمن البعثة المحمدية - على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم - إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، وذلك أن أمة محمد ﷺ ينقسمون إلى قسمين: أمة دعوة وأمة إجابة، فمن أجاب دعوة محمد ﷺ وأسلم فيندرج تحت مسمى أمة الإجابة، ومن امتنع عن الإسلام فهو يندرج تحت مسمى أمة الدعوة حتى يسلم - والله تعالى أعلم بالحقيقة والصواب والحمد لله رب العالمين - وعلى هذا فكل من يسمون أنفسهم يهودا أو نصارى فهم فيما يدّعونه كاذبون واهمون، إذ العقل والواقع يكذبهم، وسوف نرى ما فى داخل هذا البحث من حقائق وإشارات وخصوصا فى الفصلين المشار إليهما آنفاً - والله تعالى أعلم بالحقيقة والصواب والحمد لله رب العالمين - بل الشواهد والبراهين موجودة ومحسوسة وملموسة.. وهكذا.

ومن هذا المنطلق الإعجازى لهذا الكتاب القرآنى العظيم كانت وقفتى مع عطاء هذا الإعجاز الذى لا تنتهى عجائبه ولا تنفد غرائبه، ولا يشبع منه العلماء.. هذا الإعجاز المتجدد عطاؤه، والحى لفظه والغنى معناه، كيف لا يكون هذا الإعجاز حيا أبدا؟ وكلمه كلام الحى الذى لا يموت، لهذا كان عطاء هذا الإعجاز على قدر حكم الخالق للمخلوق ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾[1] بمعنى أن من جاء الإعجاز لأجلهم مختلفو القدرات، وهذا الاختلاف لا يخص الفرد فقط، بل إن اختلاف القدرات فى الأفراد يؤول لاختلافها جماعيا، بمعنى أن الأمم - أيضاً - تختلف قدراتها العقلية والفكرية حسب الأزمنة والأمكنة، ولهذا رأينا كيف راعى هذا الإعجاز هذا الاختلاف فى عطائه للأمم حسب اختلاف أزمنتها، ومن خلال ألفاظه المعهودة لكونها حية وباقية لا تتغير، لهذا كان إعجازه الذى صاحب الأمم

(١) سورة البقرة: آية «٢٨٦».

زمن إنزاله - كما أشرنا آنفا - اختلف فى طبيعته للأمم التى تلت من قبلها بقرون، وهذا أمر طبيعى لكتاب من أهم سماته وصفاته صلاحه لكل زمان ومكان إلى أن تقوم الساعة، وهذا الصلاح أهله لأن يُعجز ويفحم ويسكت إعجازه أى أمة فى أى بيئة أو زمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فهو يفحمها فى بلاغتها وفكرها من أن تتسامى إليه، ويعجزها فى كشوفها، ورقيها العقلى، ويسكتها فى أى إبداع علمى وقد تتعالى به، كيف لا وهو كتاب فيه «بيان وتفصيل لكل شىء».. وإلا كيف يكون بقاؤه وصلاحه مع اختلاف الأزمنة والأمكنة؟ ومن هذا المنطلق يجب أن تكون البحوث والدراسات حول إعجاز هذا الكتاب العظيم، الذى ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾.. بمعنى ألا نكتفى بما وجد من كتب ودراسات حول هذا الكتاب عبر الأزمنة المختلفة، وذلك لما علمناه عن طبائع هذا الإعجاز، وكونه يختلف فى عطائه حسب ما لدى الأمم ولا يعنى هذا أننا نهمل كليا كل ما وجد من كتب وبحوث ودراسات هذا الكتاب العظيم.. إذ مثل هذا القول لا يقول به إلا جاهل أو مجنون.. لكن فى الوقت الذى لا أهمل فيه ما سبق، أيضا لا أجعل ما سبق مغنيا للحاضر، إذ ليس كل ما سبق صالحاً للحاضر والمستقبل، وذلك لأن الحاضر تجد فيه أمورا لم تكن فى الماضى، ولعدم وجودها فى الماضى لم يتعرض لها الإعجاز، إذ كيف يتحدى شيئا غير موجود، ومن هنا استوجب الأمر أن نأخذ من الماضى للاستنارة به فى توضيح ما جد فى الحاضر، وكيف كان علاج أولئك مع ما كان يجد عندهم، ولا نعيب ما عمله أولئك بحجة نقصانه وعدم وفائه بما فى حياة الحاضر، هذا أمر لا يمكن قبوله، لعدم حصوله عندهم إذ لو أنه وجد عندهم لكان له شأن وعلاج.. بمعنى أننا نرى ونلاحظ ما الذى جد وحصل فى زمننا واختلف فى طبيعته عن زمن أولئك، فالأمر يستوجب علينا أن نهتدى بمن سبق فيما سنعمله.. فمثلا نلاحظ اليوم ما الذى حصل من رقى وتطور فى كل جوانب الحياة، فالغرب وصل به الأمر أنه الآن يحاول الوصول إلى المريخ بعد أن وصل إلى القمر، فهذا الرقى الفكرى، والإنجاز الإبداعى العقلى، هل نقف أمامه ونقول إن الإعجاز القرآنى لم يتعرض له ولم يشر إليه، ومن أجل ذلك فدعوة القرآن الكريم لا تشمل هؤلاء إذ لو أن دعوته تشملهم لما أهمل إعجازه ما وصلوا إليه وما سوف يصلون، لأنه من عند الله، فلو شملهم لما أهمل أولئك القدامى التعرض له؟ فتزداد عنجهية الغرب

وغطرسته.. فهل هذا منطق يقال؟ إذ قوله والله كبيرة الكبائر، وجرم الجرائم.. بل تالله إنه لكفر صريح!!! كيف لا يكون كفرا وهو تعطيل للقرآن الكريم وتجميد لعظمة إعجازه؟ وكيف لا يكون تجميدا، والغربى بعلمه وعلومه ساد الأرض وقاد البشرية.. فأين تحدى زمنكية الإعجاز؟ أتراها كانت مقصورة على زمنكية نزوله؟ أو ما بعدها بقرون يسيرة؟! إن من يقول بمثل ذلك فقد ظلم نفسه، لأنا رأينا الإعجاز يقول عن نفسه أنه: ﴿كافة للناس﴾، و﴿رحمة للعالمين﴾.. إذن فهو كما تحدى أهل زمنكية نزوله وما تلاهم.. كذلك هو يتحدى كل ما جد من تطور فى العلوم ورقى فى الفكر.. إنه يفحم الغرب الآن وكل من سيأتى بعدهم.. و لكن كيف ذلك؟ ذلك لا يكون إلا بالغوص فى معانى إبداعاته ودلائل محيطه، الذى لا يحيط به إلا من أنزله.. إن إيقاف الاجتهاد فى أسرار الإعجاز عند زمن الطبرى أو غيره يعد تعطيلا لأسرار الإعجاز، وتجميدا لتحديه.. أنا لا أهمل ما جاء فى تفسير الطبرى أو غيره.. فى الوقت الذى لا أقف عنده وأكتفى به.. آخذ ما جاءوا به لأصل من خلاله لكشف ما جد فى زمنى من رقى علمى وإبداع.. وهكذا نستطيع بتوفيق صاحب الإعجاز - الله تعالى - ربط الماضى بالحاضر لإنارة الطريق للمستقبل.. لتتجلى بذلك حقيقة ما سبق أن قلناه حول عظمة هذا الإعجاز وكونه ليس خاصا فقط، ولا عاما فقط، بل هو خاص فى عام، وعام فى خاص.. ومع يقينى الجازم أن فتح هذا الباب والولوج إلى مجاز أسراره، أمل دونه خرق القتاد وعمل يكلف من الجهد مالا يطاق.. لكن بالعزم وهمم الرجال، يستقاد المحال.. إن العمل الفردى لا يجدى فى هذا المجال، بل لابد من تضافر كل القوى.. ويهب أصحاب التخصصات كل فى مجاله ليشارك فى تحقيق هذا الأمر.. وإن ما أقوم به هو محاولة منى لرفع الراية والاستعانة بكل من يهمهم شأن الإعجاز، ليهبوا لجلاء وتوضيح عظمة ومكانة هذا الإعجاز.. ورغم قناعتى الجازمة بأن الجهد الفردى فى هذا الأمر لا ينفع، إلا أنى أحاول من باب ما يترك جله، يضيع كله.. ومن هنا تعددت وقفاتى مع عظمة هذا الإعجاز.. مع عطائه الذى لا ينفد ولا ينتهى.. ولكن هناك حقيقة يجب عدم تجاهلها لكل من يريد أن يتعامل مع الإعجاز القرآنى وعظمته، ومن تلك الحقيقة، أن من أسرار هذا الإعجاز أنه على القدر الذى تعطيه من الإخلاص والإقبال والعمل والصبر يعطيك مقابله

من الأسرار.. وكل ما سبق أن قدمته فى المرة الأولى فى كتاب سليمان - عليه الصلاة والسلام - وحقائق التلفزة، أو فى المرة الثانية فى كتاب الجن بين إشارات القرآن وعلم الفيزياء، أو مع كتاب وكالة الأنباء.. كل ذلك يشهد كيف كان الأمر إشارة خاطفة من لفظة قرآنية، أصبحت مع كل كتاب مما سبق - بفضل الله تعالى وحده - سفرا كاملا.. كل ذلك كان شاهدا لما قلته عن ثراء هذا الإعجاز وعطائه.. بل إن هذا ما سنلاحظه فى بحثنا هذا، وكيف كان عطاؤه أيضا فى هذه المرة، وعبر إشارة خاطفة ولمحة إعجازية معطاءة فى لفظة من آية قرآنية - أيضا - لفظة ترتبط دائرتها العظيمة، بدوائر القصة الخالدة قصة الخلق الإنسانى، وكل ما اكتنفها ودار حولها، قصة خلقه من العدم، وإيجاده حيا ناطقا.. ثم قصة تسويته وتعليمه، قصة دخوله الجنة وتدريبه العملى.. قصة دمج ومزج الجنس الإنسانى جميعه فى فرد اسمه آدم.. ثم قصة استنساخه من «أم الكتاب»..ثم استنساخه - بعد الدمج والمزج - ذرات من رقيقة ظهر آدم «صلب آدم عليه السلام». ثم إعادته فى رقيقته بعد ذلك.. قصة تصوير قوالب جميع الذرات الإنسانية المستنسخة فى رقيقة ظهر آدم - عليه الصلاة والسلام - ثم إدخال تلك الذرات بعد ذلك - والله تعالى أعلم بالحقيقة والصواب - ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾.(١)

ثم قصة إهباطه - بعد ذلك - إلى الأرض لأجل محدود.. ثم موته وعودته فى رحلة عكسية إلى النقطة التى انطلق منها. إنها قصة الرحلة الإنسانية التى ملئت بها الكتب والأشعار وثار حولها الجدل وتصارعت العقول والأفكار، محاولة فك الرموز التى بنتها حولها صراعاتهم العقيمة دون أن تصل إلى حل سديد لكل تلك الرموز، وذلك لأنها فى كل محاولاتها التى قامت بها من أجل أن تصل إلى حل ترتضيه عقولها، كانت تدور فى محيط دائرته غير محكمة، لأن محيط تلك الدائرة غير محدد المعالم، لارتباطه بدوائر أخرى بتكاملها قد تتضح بعض معالم هذه الدوائر، إن جل أولئك المفكرين والفلاسفة حينما حاولوا إيجاد حلول لفك بعض تلك الرموز، كانوا ينطلقون فى حلولهم تلك من خلال خلق الإنسان فى المرحلة الدنيوية، ومن هنا كان الانحراف الذى أدى لكل ما حصل من تيه وبعد

(١) سورة الأعراف: آية «١١».

عن حقائق قصة الخلق الإنسانى، وذلك لأسباب كثيرة جدا، منها مثلا أن الوجود الإنسانى فى الحياة الدنيا لا يسمى خلقا، وإنما يسمى إنشاء، كما سماه القرآن الكريم بذلك: ﴿ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون﴾[1].

والنشأة الأولى هى إيجاد الحياة الإنسانية فى الدنيا، لأنه تعالى سمى الإيجاد فى الحياة الثانية - يوم القيامة - بالنشأة الآخرة ﴿وأن عليه النشأة الأخرى﴾[2]. وذلك لأن الإنشاء يختلف مدلوله اللغوى عن مدلول لفظة الخلق، وإن تقاربا من حيث المقصود، ولكن تعبيرات القرآن الكريم دقيقة جدا جدا، وكيف لا يكون كذلك وكل شىء به فيه إعجاز؟ فالإنشاء فى اللغة العربية - لغة القرآن الكريم - يعنى النماء والإنماء، من شىء موجود مسبقا - والله تعالى أعلم بالحقيقة والصواب والحمد لله رب العالمين - أما الخلق فيعنى إيجاد الشىء من العدم.. إذن فهذا المدلول اللغوى يعطينا المفتاح الأول لفك بعض تلك الرموز.. وبذلك فإنَّا نخرج من هذا الفهم اللغوى، بأن إيجاد الإنسان فى الحياة الدنيا ما هو إلا إنماء له من موجود سابق له، وهذا الموجود السابق له، إنما هو الإنسان المخلوق نفسه سابقا، والذى كان منه هذا الاستنساخ الإنمائى فى الحياة الدنيا.. وهذا يعنى أن هذا المنشأ هو الذى كان له الخلق والإيجاد سابقا.. أى أن هذا الإنسان كانت له مرحلة خلق قبل الإنشاء الإنمائى.. وهذا الفهم أشار إليه القرآن الكريم نفسه ودلَّ عليه بقوله تعالى: ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾[3].

إذن فالوجود الإنسانى أو مراحل الخلق والإيجاد الإنسانى، هو ذو ثلاث مراحل، وهى خلق نورانى من العدم: ﴿ولقد خلقناكم﴾.. ثم استنساخ إيجادى نورانى بخواص وخصائص تختلف - وإن كانت نورانية - عن المرحلة السابقة لها.. ويشير إليها ﴿ثم صورناكم﴾ - والله تعالى أعلم بالحقيقة والصواب والحمد لله رب العالمين - ثم استنساخ إنشائى إنمائى فى الحياة الدنيا بعد الإهباط.. وهذا النوع تشير إليه كثيرمن الآيات

(١) سورة الواقعة: آية «٦٢».

(٢) سورة النجم: آية «٤٧».

(٣) سورة الأعراف: آية «١١».

القرآنية منها قوله تعالى: ﴿ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾[1].

وكل مرحلة من هذه المراحل الثلاث لها خواصها وخصائصها، وماهيتها، وآياتها القرآنية التى تدل عليها وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة - على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام - وكل هذه المراحل الخلقية للإنسان كانت محك حديثنا فى بحثنا هذا، والذى حاولنا إيجازه واختصاره قدر الاستطاعة فى كل محاوره الثلاثة، وذلك لكثرة ما ورد عن هذا الخلق من آيات وأحاديث وشروحات وتفاسير.. ولهذا كان مصير أى حديث عن هذا الخلق وعودته إلى طبيعته التى انطلق منها فى رحلته الطويلة، عبر كل تلك التحولات والتبدلات التى تقلب فيها إلى أن وصل إلى محطته الدنيوية، أى حديث لا يتعرض لكل هذه المراحل وغيرها مما له ارتباط بذلك، سيكون مصيره الفشل.. وذلك لعدم الوقوف على الحقيقة كاملة.. ولا أقول أن ما فعلته فى هذه المحاور الثلاثة التى ضمتها ثلاثة أجزاء منفردة، هو الحل النهائى لكل تلك الرموز الهائلة - لا والله - لا أقول ذلك أبداً.. وإنما أقول عسى أن يكون ما فعلته الراية الأولى التى ارتفعت داعية ومنبهة، بعد بحث ولملمة وتنقيب - ومن موجود - فلعل ما فعلناه يفتح الباب فى هذا الطريق - بمشيئة الله تعالى - المحفوف بالمزالق.. ومن هنا أقولها صادقا لكل من أراد الدخول والغوص فى هذا المحيط الزاخر أن يتسلح بتقوى الله سبحانه وتعالى، وبالتوكل عليه، إذ بذلك تنفتح المغاليق.. ثم عليه بعد ذلك بالكد والبحث والتنقيب، والتزود بالصبر، إذ الطريق طويل وصعب وشاق، ولكنه - وربى - لذيذ بكل ما تحمله هذه اللفظة من مدلولات، ثم عليه بعد ذلك محاولة إيجاد المراجع المطلوبة، وهى العقبة الكؤود، إذ ما كل ما يتمنى المرء يدركه.. إلخ. وضرورة توافر المراجع وتنوعها شىء تستدعيه أمور كثيرة، منها مثلا: تدعيم ما ظننت صحته فيما أشرت به ولاسيما فى بحث كهذا مزالقه كثيرة.. وتدعيم - أيضا - ما قد يظنه الكثير جنوحا أو شطوحا، وذلك لأن الغوص فى محيط القرآن الكريم الواسع، ليس

(١) سورة النساء: آية «١».

بالأمر الذى قد تُظن سهولته.. إنه كتاب كله مخازن أسرار لا تنتهى - وحاشا أن تنتهى - إنه كلام الحق جل سناه ﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا﴾[1].. إذن فمرحلة خلق الإنسان فى الدنيا ليست هى الأولى فى الخلق، وإنما هى الأولى فى الإنشاء، لسبقها بمرحلة خلق من عدم، وهى إيجادية تقديرية - والله تعالى أعلم بالحقيقة والصواب والحمد لله رب العالمين - ﴿ولقد خلقناكم﴾.. ثم مرحلة إيجادية تصويرية نورانية ﴿ثم صورناكم﴾.. ثم تصويرية طينية بصفات علوية - نورانية - ﴿إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشراً من طين. فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين﴾.[2] ثم حصل بعد ذلك المزج الجمعى والاستنساخ البعضى ﴿وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾[3].. ثم حصول الإهباط بعد ذلك إلى الأرض وبداية مرحلة الإنشاء، أو الاستنساخ الإنمائى - والله تعالى أعلم بالحقيقة والصواب والحمد لله رب العالمين. ولهذا نجد أن الحديث عن قصة الخلق الإنسانى لا تتضح معالمها، إذا اقتصر فى الحديث عنها على المرحلة الدنيوية فقط.. وهذا ما حاولنا عمله فى بحثنا هذا الذى نقدمه لك أخى القارىء.. ومن هنا نخرج أن المراحل الخلقية التى مرت بها الإنسانية قبل أن تصل إلى عالمها الدنيوى، لم تكن مادية، كما هى عليه الآن، بل رأينا أن مرحلة وجودها فى «أم الكتاب» قبل استنساخها منه كانت نورانية بحتة - والله تعالى أعلم بالحقيقة والصواب والحمد لله رب العالمين - ثم تلت بعد ذلك مرحلة الطبيعة - مرحلة التسوية الطينية - العلوية أى التى كانت فى الملأ الأعلى، وهى كما سترى - بمشيئة الله تعالى - مرحلة وسطية بين المرحلة النورانية البحتية السابقة عليها والمرحلة المادية الكثيفة الدنيوية، وهى مرحلة الاستنساخ الذرى ﴿وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم..﴾ إلخ. وهى مرحلة سكنى الجنة والتدريب العملى.. أو كما قال الشيخ ابن عربى: «استنساخ ذراتكم من الأزل».. وهى مرحلة وسط بين النورانية الأولى والمادية

(١) سورة الكهف: آية «١٠٩».

(٢) سورة ص: آية «٧١ - ٧٢».

(٣) سورة الأعراف: آية «١٧٢».

الدنيوية، وهى أيضا التى ستكون على خصائصها النشأة الثانية يوم القيامة كما وضح ذلك من خلال الآيات القرآنية وما ورد عنها - والله تعالى أعلم بالحقيقة والصواب والحمد لله رب العالمين - ومن خصائص نورانية هذه المرحلة التحول إلى خصائص المادية الدنيوية بالإهباط الذى حصل لآدم - عليه الصلاة والسلام - من السماء إلى الأرض.. ولهذا نقول لكل أولئك الذين ينكرون أمر البعث والنشور، أو حتى يتشككون فيه، عليهم أن يراجعوا حساباتهم، ويعلموا أن أمر العودة آت لا مناص منه، إذ أن اللغز الذى كانوا يدعون إبهامه وغموضه، قد وضح وبان، وانكشف سر غموضه للعيان، كما أعلنها صريحة القرآن الكريم: ﴿..كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين﴾[1].. ﴿الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون﴾[2].. ﴿أولم يروا كيف يبدى الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير. قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة إن الله على كل شىء قدير. يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون﴾[3].. إذن فمن بدأ يعيد ومن بدأ أخبرنا كيف كانت الطبيعة الأولى التى أوجدنا عليها، وكيف أنا انطلقنا بعد ذلك منها وأخذنا نتقلب ونتحول إلى أن وصلنا إلى طبيعة كنا نعلمها، ومعلوم لدينا اليوم أن أى شىء قد وجد أصلا على خصائص طبيعة معينة ثم انتقل منها إلى خصائص طبائع أخرى، لابد أن يعود إلى خصائص الطبيعة التى كان عليها فى بداية أمره، وهذا ما نحن عليه، إذ قد كنا بخصائص نورانية، ثم تحولنا إلى خصائص مادية، بعد أن جمعنا جميعا فى جرم معين سوف يحمل خصائص طبيعة معينة، بإهباطه من نقطته التى كان فيها إلى طبيعة خصائص البيئة التى سوف يستقر فيها، وهذا ما حصل لنا جميعا مشخصا أمره فى جرم أبينا آدم - عليه الصلاة والسلام - والذى أهبطنا من طبيعة البيئة الأولى التى كنا نحمل خصائصها، إلى خصائص طبيعة بيئة أخرى بأمر إهباطه لنا متجمعين جميعا فى جرم نفس واحدة، فحصل ما حصل من تحول فى الخصائص بأمر هذا الإهباط، هذا الذى أهبطنا يقول لنا - أيضا - كما بدأناكم سوف نعيدكم لسهولة أمره علينا، فكما حولنا إلى ما

---

(١) سورة الأنبياء: آية «١٠٤».

(٢) سورة الروم: آية «١١».

(٣) سورة العنكبوت: آية «١٩ - ٢١».

وصلتم إليه سوف نعيدكم لما كنتم عليه قبل مزجكم وجمعكم في نفس واحدة عند الإهباط - أي في نفس آدم عليه الصلاة والسلام - أي الأمر الفرادى الذى كنتم عليه عند الإيجاد الأول سوف نعيدكم إلى طبيعة هذا الأمر: ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة..﴾[1]. وهذا سهل أمره، فمن أنزلنا جميعا في جرم نفس واحدة سهل عليه أن يعيدنا ويبعثنا كخلق نفس واحدة: ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير﴾[2].

إذن فمن جاء بنا ونقلنا من خصائص إلى عكسها هو الذى سيعيدنا أيضا عودة عكسية لما كنا عليه من خصائص قبل الإهباط.. إذاً فأمر الخلق والبعث مربوط أمره بين حقيقة عالم التحولات، انطلاقاً من طبيعة ذات خصائص معينة إلى أخرى عكسية - والله تعالى أعلم بالحقيقة والصواب والحمد لله رب العالمين - وهذه هى الفكرة الرئيسية التى يدور حولها بحثنا هذا، وهى فكرة أمر الخلق والبعث، وكيف أن طبيعة أمره تدور بين طبيعة حقائق عالم التحولات، طاقة ثم مادة ثم رحلة العودة العكسية من مادة إلى طاقة - والله تعالى أعلم بالحقيقة والصواب والحمد لله رب العالمين - وهذه الفكرة تشعبت وتفرعت وتجزأت إلى قضايا وأفكار كثيرة ومتعددة جرّ إليها أمر توضيح وتجلية الفكرة الرئيسية - بحمد الله وتوفيقه - وتعدد أمر هذه القضايا وأفكارها جعلنا نحاول - ما استطعنا - أن يكون هناك شيء من التخصص الجزئى لكل مجموعة من تلك القضايا والأفكار الفرعية المتشعبة، بحيث يضم كل مجموعة محور رئيسى عام يربط بين مجموع المجموعة التى تنضوى تحت مفهوم عنوان فكرته الرئيسية، وقد خرجنا من تلك المحاولة التصنيفية - بتوفيق الله تعالى وعونه - إلى بلورتها في ثلاث مجموعات، كل مجموعة يضمها محور خاص بها، وكل محور يضم مجموعته جزء خاص به يحمل عنوانه - بحمد الله تعالى وعونه - فمثلا سنلاحظ - بإذن الله تعالى وتوفيقه - أن المحور الأول سوف يدور حديثنا فيه حول فكرة كيفية بدء الخلق - الأول - وكيف أخذ بعد ذلك في أمر تحولاته، وتعدد صور تلك

(١) سورة الأنعام: آية «٩٤».

(٢) سورة لقمان: آية «٢٨».